مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

Restricting Verbs in the Qur'an

Assistant Lecturer Wafaa Enad Aboud

Email: wafaa.enad@uofallujah.edu.iq

Phone: +9647506188042

University of Fallujah / College of Islamic Sciences / Department of Arabic Language

Abstract: This research addresses the constraints that alter the temporal meaning of verbs and specify their direction within Qur'anic context. It explores the significance of verb restriction by analyzing its implications and the reasons behind its usage in certain contexts. The study adopts an inductive and grammatical analytical approach, examining selected Qur'anic texts to reveal the impact of these restrictions on meaning. The research is divided into an introduction, three main sections, and a conclusion: Introduction: Discusses the concept of restriction linguistically and terminologically according to grammarians, with a brief overview of the topic. First Section: Examines the impact of restriction on the temporal meaning of verbs. It analyzes examples from the Qur'an where verb restriction influences the interpretation of the Qur'anic context. Second Section: Explores verb tense variation, focusing on instances where a single verb appears in different tenses (past and present) and how this variation affects the Qur'anic context. Third Section: Investigates the construction of verbs in the passive voice and its implications. The study concludes with findings that shed light on the role of verb restriction in enriching the Qur'anic text.

Keywords: Verb Restriction, Qur'anic Context, Temporal Meaning, Verb Tense Variation, Passive Voice.

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

تقييد الفعل في القرآن الكريم

م. د. وفاء عناد عبود
wafaa.enad@uofallujah.edu.iq
٩٦٤٧٥٠٦١٨٨٠٤٢
جامعة الفلوجة/كلية العلوم الاسلامية/قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

تتلخص مشكلة البحث وأهميته في الوقوف عند القيود التي تُحدث تغييراً في دلالة الفعل الزمنية وتخصص جهته، من خلال وظيفته في السياق ،والوقوف على سر التقييد بفعل ما، من خلال البحث عن مدلوله، واعتمدت على استقراء لعدد من النصوص القرآنية وتحليلها تحليلا نحويا، واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على ثلاث مطالب يسبقها مقدمة، تليها خاتمة كالآتي: المقدمة: تناولت فيها مفهوم مصطلح التقييد لغة واصطلاحا عند النحاة ونبذه قصيرة حول موضوع التقييد، وتناول المطلب الأول: أثر التقييد في دلالة الفعل الزمنية، درست فيه عينة من النصوص القرآنية التي وجدت في تقييد الفعل أثرا في تحديد دلالة السياق القرآني.

أما المطلب الثاني فجاء بعنوان المغايرة بزمن الفعل وأقصد بذلك التعبير عن فعل ما، بوساطة الفعل الماضي تارة، وبالمضارع تارة أخرى ، وقد تناولت عينة من النصوص القرآنية التي وردت فيها أفعالا متحدة في اللفظ متغايرة في الزمن، وأثر تلك المغايرة على دلالة السياق القرآني.

وأخيرا المطلب الثالث الذي تطرقت فيه إلى بناء الفعل للمجهول، وختمت البحث بمجموعة من النتائج التي وصل إليه البحث. والله وليُّ التوفيق، فنعم المولى ونعم النصير.

الكلمات المفتاحية: تقييد الفعل، السياق القرآني، المعنى الزماني، تنوع زمن الفعل، المبني للمجهول

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

تقييد الفعل في القرآن الكريم

م. د. وفاء عناد عبود
(جامعة الفلوجة/كلية العلوم الاسلامية/قسم اللغة العربية)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :-

فإن القرآن الكريم كتاب العربية الأول والبيان الخالد. انصرفت إليه جهود علماء اللغة والبيان لمعرفة أساليبه وبلاغة بيانه، فوجدوا أنفسهم أمام بحر من المعاني لا ساحل له، فبتجدد الزمان والمكان، نجد معانيه متجددة حية. وإنَّ العربية وإن كانت لم تعهد سوى الصيغ الفعلية الثلاث (فَعَلَ ويفعَل وافعَلْ) إلا أنَّ الدلالة الزمنية في هذه الصيغ تتغير بقيودٍ تدخل عليها، وهذه القيود تُحدث تغييراً في دلالة الفعل الزمنية فتخصص جهته، وتلك القيود التي تقيد الفعل لا ترد عبثًا وإنما ترد لداع يقتضيه السياق. وتنجم عن تظافر دلالة الزمن الصرفي المستفاد من بنية الفعل مع الزمن النحوي المستفاد من السوابق واللواحق وقرائن السياق[1].

---

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة. وهي كما مثل لها تمام حسان في الجملة الخبرية : ١- الماضي البعيد المنقطع (كان فعل). ٢- الماضي القريب المنقطع (كان قد فعل). ٣- الماضي المتجدد (كان يفعل). ٤- الماضي المنتهي بالحاضر (قد فعل).

٥- الماضي المتصل بالحاضر (مازال يفعل). ٦- الماضي المستمر (ظل يفعل). ٧- الماضي البسيط (فعل). ٨- الماضي المتقارب (كاد يفعل). ٩- الماضي الشروعي (طفق يفعل) .

والحال العادي والتجددي والاستمراري (يفعل) وهي ثلاث جهات .

وللاستقبال أربع جهات هي: ١- البسيط (يفعل). ٢- القريب (سيفعل). ٣- البعيد (سوف يفعل). ٤- الاستمراري (سيظل يفعل). (٢٤٤).

Doi:10.37940/RJIS.2024.s1.1.11 العدد خاص بالمؤتمر الدوري الدولي الثالث للعلوم الإنسانية

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

فينبغي على الدارس أن يكون بصيرًا بتلك السياقات، وأن يقف على تلك القيود التي تقيد الفعل، وما يكمن وراءها من دقائق، وما يكون وراء استعمالها وتقييد الفعل بها من لطائف وأسرار. إذ ينبغي عليه إظهارها وتجليتها، ولا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها. وبذلك نعرف مدى أهمية فهم سياق النص.

ومفهوم التقييد لغة: يأتي من: قِيد قَيْدًا، مبنيًّا للمجهول بمعنى قُيِّد تقييدًا ' ومقيَّدةُ الحِمارِ: الحرَّةُ، والمعنى أَنّ الحِمار قَيْدٌ لَهَا. [١] وقيل: " هو الموصول بما يُعيّن المعنى" [٢]

ويراد به عند النحاة: " إزالة اللبس وذلك نحو أن تخبر بخبر أو تذكر لفظـــاً يحتمل وجوهاً فيتردد المخاطب فيهـــا فتنتبـــه على المراد بالنص على أحد محتملاته تبيينـــاً للغرض " [٣]

ومن المعلوم أن الأصل دلالة صيغة الفعل الماضي على الحدث في الزمن الماضي، ودلالة صيغة الفعل المضارع على الحدث في الزمن الحالي أو المستقبل؛ لهذا وصف سيبويه قول القائل نحو: أتيتك غدا وسآتيك أمس بأنه محال؛ لأنه ينقض أول كلامه بآخره. [٤]، إلا أن تقييد وتعيين جهة دون أخرى لا يتوقف نهائيا على تلك الصيغ المضبوطة، فإن ذلك تضييقا وإلزاما للغة بما لم يلتزمه أهلها[٥]، بل يعود التقييد إلى السياق الذي ترد فيه الصيغة، وإلى القرائن المعينة، فقد تستخدم صيغة الفعل الماضي للدلالة على الزمن المستقبل، لإفادة

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس, محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ), تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية, (٩/ ٨٥)

(٢) رسالتان في اللغة: ابو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني (ت ٣٨٨ هـ) ، تحقيق : د. ابراهيم السامرائي، مطبعة دار الفكر، ط١ ،١٩٨٤ م. (٧٠).

(٣) شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت – لبنان ،(د.ت) : (٧٠/٢).

(٤) ينظر: الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ), تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون, مكتبة الخانجي، القاهرة, ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ,(٢٥/١).

(٥) ينظر: الزمن النحوي والزمن الصرفي: الباحثة سناء الريس, صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية, الإصدار الرابع, ع (٣٩), القاهرة, ٢٠١١.(٢٩٢).

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

اليقين بوقوعه، حتى كأنه قد وقع ومضى، كما في قوله تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)[١]. أي: " قَرُبَ وقتُ إتيان القيامة. وعبّر بصيغة الماضي؛ تنزيلًا لتحقق الوقوع منزلة الوقوع .... والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي؛ لتحقق وقوعه كثيرٌ في القرآن". [٢]

وتستخدم صيغة الفعل المضارع للدلالة على الزمن الماضي، من ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ)[٣] وهذا ما تنبه إليه النحاة وأدرجوه تحت أبواب التوسع في اللغة، مع توافر شرط أمن اللبس، قال ابن الشجري: " ووجه استجازتهم هذا الإبدال مع تضادّ الأفعال، أنّ الأفعال جنس واحد، وإنما خولف بين صيغها، لتدلّ كلّ صيغة على زمان غير الذى تدلّ عليه الأخرى، وإذا تضمّن الكلام معنى يزيح الإلباس، جاز وضع بعضها في موضع بعض توسّعا".[٤] وهذا ومثله كشف عن طاقة عجيبة تكمن في كلمات اللغة وتراكيبها.

المطلب الأول: أثر التقييد في دلالة الفعل الزمنية:

من الثابت أن استعمال الأفعال لا يقتصر على زمنها من حيث أصل وضعها وهو ما يعرف بالزمن الصرفي للفعل، بل تستعمل في غير زمنها لتلقي بظلال دلالتها الأصلية على الزمن الآخر المستعملة فيه. ولا يتأتى ذلك للفعل إلا داخل السياق الذي يحدد زمن الفعل ووظيفته من خلال القرائن التي تعين على تقييد معنى الزمن المراد في السياق، وهذا ما يسمى بالزمن النحوي الذي _الذي نحن بصدد البحث فيه_ يتحرك داخل السياق وهو كفيل بتقييد المعنى الذي أحدثه في الصيغ الفعلية. وهذا ما يضفي مجالا واسعا للتوسع في

---

(١) النحل / ١

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ), دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان, ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م . (٢/ ٣٢٦)

(٣) البقرة/١٢٧

(٤) أمالي ابن الشجري: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ), تحقيق: الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي, مكتبة الخانجي، القاهرة, ط، ١٤١٣ هـ – ١٩٩١م. (١/ ٦٨)

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

اللغة، فلا غرابة إن كان الزمن الماضي آتيا في صيغة (فَعَلَ) أو (يَفْعَلُ) مادام يمكن بالقرينة المفرقة بين الأزمنة أن نختار أصلح الصيغ للدلالة على الزمن المراد في سياق ما [١].

قال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[٢]

يلحظ أن التعبير بالفعل المضارع (يفعل) دلالة على وجوب تجديد النية في ابتغاء مرضاة الله تعالى في كل عمل أو قول، ففي تقييد الفعل بكونه ابتغاء مرضاة الله، تحريض على إخلاص النية، لأن الأعمال بالنيات، وإذا صاحب الأعمال رياءً أبطلها ومحق بركتها. لـ((أنّ الإنسان إنّما ينتفعُ بها، إذا أتى بها لوجه اللَّه ولطلب مرضاته، فأمّا إذا أتى بها للرّياء والسّمعة انقلبت القضيّةُ فصارت من أعظم المفاسد)) [٣].

لذا ناسب فيما بعد التعبير (بسوف) هنا لتأكيد الوقوع في المستقبل. أي. فسوف نؤتيه أجرا لا يحيط به نطاق الوصف. فجاء زمن المضارعة للفعل مدعاة لمرضاة الله وتحقيق الاخلاص ، ولو عبر بالفعل الماضي لما تحقق الجزاء بذلك، كونه منقطع

ويتجاوز الفعل (كان) دلالته الزمنية ليدل على الحال والاستقبال قال تعالى: (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)[٤]

لا شك أن الفعل (كان) يدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي، مع أنَّ الله تعالى متصف بوصف القدرة ماضيا وحالا ومستقبلا، فكيف ناسب تقييد التعبير بالفعل الماضي مع أن قدرته سبحانه غير منقطعة؟

---

(١) زمن الفعل في اللغة العربية: عبد الجبار توامة, د/ط , الساحة المركزية, بن عنكوك_ الجزائر, ١٩٩٤. (٩_١٠).

(٢)[النساء: ١١٤].

(٣) التفسير الكبير, فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) دار إحياء التراث، العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (١١/ ٢١٨).

(٤)[الاحزاب / ٢٧]

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

الجواب: ذلك لأن تقييد الفعل بالزمن لا يدلُّ على نفيه عن غير ذلك الزمن. فـ(كان) تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي ، ولكنه تجاوز المضي لإفادة الحال والاستقبال معنى الحتمية بإنزاله منزلة الأمر المحقق، والله تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا [١].

ووجهه ابن الرازي بقوله: " أنّ الله تعالى لمّا ملّكهم تلك البلادَ ووعدهم بغيرها دفع استبعادَ منْ لا يكونُ قويَّ الاتّكال على الله تعالى وقال أليس اللَّهُ ملَّككم هذه فهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ يملِّككم غيرها" [٢].

وربما يجتمع قيدان في آية واحدة مثل قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ)[٣]

" وأصل الفأل الكلمة الحسنة ، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد فاثبت النبي (ﷺ) الفأل وأبطل الطيرة ... ولا بد من ذكر فرق بين البابين ، والأقرب أن يقال: إنَّ الأرواح الإنسانية أصفى وأقوى من الأرواح البهيمية والطيرية ." [٤]

فتقييد الفعل الماضي (جاءتهم) بـ (إذا) الشرطية والتي غالبا ما يكون الفعل معها مقطوع حصوله جاء مناسبا في جانب الحسنة بلفظ "إذا"؛ لأن المراد بالحسنة، الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به مستقبلا ؛ ولذلك عُرِّفت تعريف الجنس.

أما السيئة فنادرة الحصول بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، لذا ناسب تقيد الفعل المضارع (تصبهم) بـ(إنْ) الشرطية والتي غالبا ما يكون الفعل غير مقطوع حصوله مستقبلا [٥]؛ ولذلك نكرت.

---

(١) ينظر: البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبد الموجود، مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١, ١٤٢٢هـ. (٦/ ٥٣١).

(٢) التفسير الكبير (٢٥/ ١٦٥).

(٣)[سورة الأعراف: ١٣١]

(٤) التفسير الكبير (١٤/ ٣٤٤).

(٥) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ), دار إحياء التراث العربي – بيروت. (٢/ ٢٢٩)

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

ولنقرأ قوله تعالى: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)[١] نجد أن فعل الأمر (أقل) مقيد بالجار والمجرور بعده وهذا القيد فيه إبراز وإيضاح وتأكيد للوم الذي اقتضاه السياق. " زاد ها هنا لفظة (لك) ؛ لأن هذه اللفظة تؤكد التوبيخ فعند هذا قال موسى: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته وهذا كلام نادم شديد الندامة ثم قال: قد بلغت من لدني عذرا . والمراد منه أنه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين أولا وثانيا، مع قرب المدة "[٢] ؛ لأن العبد الصالح كان قد أخذ وعدا من موسى – عليه السلام – ألا يسأله عن شيء يحدث، ولكنه لم يستطع صبرًا، إذ أنكر خرق السفينة، فلامه العبد الصالح على عدم صبره، ثم أنكر قتل الغلام، فأكد العبد الصالح اللوم بالجار والمجرور: {لَكَ} فزيادة الجار والمجرور: {لَكَ} لم يأت عبثا، إنما فيه مزيد من تأكيد اللوم وتقريره، وقد اقتضى السياق ذلك؛ فموسى – عليه السلام – قد اتبع العبد الصالح الخضر ليتعلم منه، فزاد قيدا للمسند في الثانية لتربية الفائدة ولتأكيد اللوم في الثانية؛ لأن المخالفة الثانية أحوج إلى مزيد من اللوم بتقريره وتأكيده.

ومن جميل مقيدات الفعل الماضي أن قيد بقرينة معنوية داخل السياق قال تعالى: (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ)[٣]

في صيغة التعبير عن الخوف الخفي من سيدنا إبراهيم ورد الفعل المناسب لهذا الخوف القلبي بالفعل الماضي (أوجس)، و " الوُجْسُ، الفَزَعُ يَقَعُ في القَلْبِ... أَيْ أَحَسَّ وأَضْمَرَ، وقال أَبو إِسْحَاقَ: " مَعْنَاهُ فأَضْمَرَ منهم خَوْفاً، وقالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: معنَى أَوْجَسَ: وَقَعَ في نَفْسِه الخَوْفُ"[٤] ، وأَوْجَسَ القلبُ فَزَعاً أَحَسَّ به".[٥] فتقييد فعل الماضي (أوجس) بإحساس النفس وخواطرها في الحذر إحساس مؤقت حينما امتنعوا عن الأكل؛ " وذلك أن أكل الضيف أمنة ودليل انبساط نفسه والطعام حرمة وذمام. والامتناع منه وحشة.

(١) [الكهف: ٧٥]
(٢) التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٧)
(٣)[الذاريات: ٢٨]
(٤) تاج العروس [وجس].
(٥) لسان العرب: مُحَمَّد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١. (٢٥٣/٦)

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

فخشي إبراهيم عليه السلام أن امتناعهم من أكل طعامه إنما هو لشر يريدونه"[١]، فقيْدُ التعبير بالوجس بصيغة المضي لينا سب ذلك الخوف الخفي المؤقت الذي سرعان مازال حين بشروه بغلام عليم.

ولنتأمّل مشهد من مشاهد قصة سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز وهي تخاطبه بقوله تعالى: (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٢]. يلحظ أنّ التعبير عن السجن جاء بوساطة الفعل، ومعلوم أنّ (صِيغَةَ الْفِعْلِ لَا تُفِيدُ الدَّوَامَ، وَصِيغَةُ الِاسْمِ تُفِيدُهُ)[٣]، وبذلك يمكن أن يُفهم أنّ فترة السجن التي كانت تقصدها امرأة العزيز مؤقتة، فـ(الْمُرَادُ أَنْ يُسْجَنَ يَوْمًا أَوْ أَقَلَّ عَلَى سَبِيلِ التَّخْفِيفِ)[٤]. فالفعل المضارع ورد في السياق القرآني مقيدًا بقرينة معنوية، ولذلك بدأت بذكر السجن وأخرت ذكر العذاب؛ لأن المحب لا يسعى في إيلام المحبوب.

وقد يتقيد الفعل داخل السياق بقرينة لفظية كقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ)[٥] تحقق تقييد فعل الأمر _ قيد الفعل بقرينة لفظية_ (خذوا) بالحذر، " أي عدتكم من السلاح ، والمعنى استعدوا لأعدائكم أو تيقظوا واحترزوا منهم ولا تمكنوهم من أنفسكم" [٦] أي خذوا طريق الاحتياط واسلكوه واجعلوا الحذر ملكة في دفع ضرر الأعداء عنكم.

في دخول قيد الاستمرارية على الفعل الماضي انتقلت دلالته إلى الزمن الحاضر من ذلك قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[٧]

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ), تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤٢٢ هـ. (٥/ ١٧٨).

(٢) [يوسف من الآية ٢٥].

(٣) التفسير الكبير (٢٠/٢٧٢)

(٤) التفسير الكبير (١٨/٤٤٥).

(٥) سورة النساء/ ٧١ .

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث، بيروت. (٣/ ٧٧).

(٧) المائدة: ٣

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

فقد دل الفعل الماضي (أكملت) في هذه الآية على تمام الحدث في الزمن الحاضر، فحدث الاكتمال مقيد بزمن وغير مستمر أو متكرر في الحاضر، فهو حدث انتهى في اللحظة الحاضرة،؛ لأن الشرائع كانت كافية في وقت نزولها، وما كانت ناقصة في أي وقت نزلت، لذلك ناسب تقييد الفعل الماضي بزمنه، ولكن في وجود _ القرينة اللفظية_ الظرف (اليوم) الدال على الحال أعطى الفعل استمرارية حدوث الاكتمال بشكل مناسب لزمن نزول الشرائع، لكن هذه الاستمرارية ليست على الاطلاق إنما قيدت باكتمال الحدث في اللحظة الحاضرة، وإلى ذلك ذهب الرازي بقوله: " وهو الذي ذكره القفال وهو المختار: أن الدين ما كان ناقصا البتة، بل كان أبدا كاملا... إلا أنه تعالى كان عالما في أول وقت المبعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه... فالشرع أبدا كان كاملا ، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص، والثاني كمال إلى يوم القيامة".[(١)]

ومن قيود الفعل المضارع في السياق قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)[(٢)] مجيء كلمة(يشرك) بالفعل المضارع المستمر يعني أن المشرك مات وهو مستمر بالشرك وحيثياته، ولو قال الله تعالى (إن الله لا يغفر من أشرك بالله...) فتلك طامة كبرى تقع على من أشرك؛ لأن هذا يعني أن لو شخصا ما أشرك مرة واحدة في حياته، فسوف لن تنفعه توبة، فجهنم محيطة به، ولكن الحمد لله على قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) فالإنسان إذا أشرك ثم تاب وآمن بالله وحده راجيا قبول التوبة والمغفرة من الله فلعل يغفر له وينجو من عذاب محيط.

المبحث الثاني: المغايرة بزمن الفعل

إنَّ البناء الواحد للكلمة إذا استعمل في معنيين فأكثر قيَّده أوّلا ثم ذكره من غير تقييد فالتقييد هنا يدلّ على المغايرة، وهو أن يأتي التعبير عن فعل ما، بوساطة الفعل الماضي تارة، وبالمضارع تارة أخرى، ومن

(١) التفسير الكبير (١١/ ٢٨٧).

(٢) النساء: ٤٨.

Doi:10.37940/RJIS.2024.s1.1.11 العدد خاص بالمؤتمر الدوري الدولي الثالث للعلوم الإنسانية

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

ذلك قوله تعالى: (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ)[١]، وقال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)[٢] وهنا جاء فعل القتل الخطأ_ إذ هو مغلوب فيه أحيانا_ في الآية الأولى بزمن الماضي، مقيّدا العتق برقبة مؤمنة، وجاء فعل القتل العمد بالآية الأخرى بزمن المضارع. وهذا معناه _ والله أعلم _ أنّ القتل الخطأ عندما يؤدي مرتكبُه ما عليه من الديّة، والكفارة فسيكون ذنبه ماضيًا كالفعل الماضي، الذي جاء السياق به. أمّا القتل العمد فمرتكبُه يحمل وزره، وذنبه مستمر كاستمرار زمن الفعل المضارع ا لذي جاء به السياق، وهذا يعني تحقق تقييد الفعل في السياق بـ "المُضي، والاستمرار" والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣].

أَصلُ البَغْي مُجَاوَزَةُ الْحَدّ. وبَغَى عَلَيْهِ يَبْغِي بَغْياً: عَلَا عَلَيْهِ وَظَلَمَهُ.[٤]

والتعبير عن "البغي" ورد بصورتين مختلفتين، ففي فعل الشرط حضور الفعل الماضي "بغت"، وفي جوابه حضور الفعل المضارع "تبغي". ودلالة ذلك – والله أعلم – يتمثل بأننا نقاتل الطائفة التي بغت بغيًا غير مقيّد – بمعنى حتى لو كان بغيها عارضًا أو قليلًا– فما إن بغت طائفةً ما على الأخرى، فنحن مأمورون بقتالها، وذلك بمثابة تحذير صريح للمؤمنين عامّة بعدم بغي بعضهم على بعض." فإن بان لهما أو لأحدهما الخطأ واستمر عليه فهو نادرٌ، وعند ذلك يكون قد بغى فقال: فإن بغت إحداهما على الأخرى يعني بعد استبانة الأمر، وحينئذٍ فقوله فإن بغتْ في غاية الحسن لأنّه يفيدُ النّدرةَ وقلّةَ الوقوع ... فإنْ فاءت الفئةُ الباغيةُ حَرُمَ قتالهم"[٥]

(١) [سورة النساء: ٩٢].
(٢) [سورة النساء: ٩٣].
(٣) [سورة الحجرات:٩].
(٤) ينظر: لسان العرب (٧٨/١٤).
(٥) التفسير الكبير (١٠٥/٢٨).

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

ولكن بعد مقاتلة هذه الفئة عُبر عن بغيها بالفعل المضارع؛ ليخرج من ذلك من كان بغيه ماضيًا، بمعنى أنّنا مأمورون بالكفّ عن هذا القتال بمجرد توبة هذه الفئة وعودتها لرشدها، فلو كان التعبير في جواب الشرط بالفعل الماضي لكان لزامًا علينا مقاتلة الفئة التي بغت، إلى غير غاية، وهذا مفهوم قتالنا لغير المسلمين حصرًا.

ومن دلالات هذه المغايرات قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(٢).

ففي الآية الأولى قال "يقولون" وفي الأخرى قال "وقالوا" ومعلوم أنّ القول الأول يدلّ على عمل صالح، ويدلّ الآخر على عمل غير صالح(٣)، لذا جاء الصلاح بالفعل المضارع، الذي يدلّ على التجديد والمضاعفة، وجاء غير الصالح بلفظ الفعل الماضي، الذي لا يدلّ على هذه المضاعفة، بل يدلّ على الحصر، بمعنى أنّ الأعمال الصالحة يضاعف أجرها– كما مرّ ذكره– ولا يضاعف جزاء السيّئة، على وفق ذلك تتحقق تقييد الفعل في السياق بـ "الثبوت، والمضاعفة"، والله أعلم.

وليس بعيدًا هذه الدلالة قوله تعالى أيضًا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيد﴾(٤).

فالعمل الصالح هنا جاء التعبير عنه بوساطة الفعل المضارع "يشكر"، بينما جاء التعبير عن العمل غير الصالح بوساطة الفعل الماضي (كفر) " قيل: إشارة إلى قبح الكفران وأنه لا ينبغي إلا أن يعد في خبر كان، وقيل،

(١) سورة النساء ٧٥.

(٢) سورة النساء ٧٧.

(٣) تجدر الإشارة إلى أنّ ما يهمّنا هنا القول لا القائل، لذا صرفنا النظر عن سبب النزول، والنفر الذي نزل فيهم.

(٤) [لقمان ١٢].

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

إشارة إلى أنه كثير متحقق بخلاف الشكر"[١] قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢] ، ومعنى هذا أن الكفر لا يؤتى بصيغة المضارع تأدبا من الله تعالى ذلك أن المضارع دال على التكرر فلا يذكر الكفر بصيغة تدل على تكرره، لأنه ينبغي أن ينقطع، أما الفعل المضارع فينبغي أن يتكرر في كل وقت لتكرر النعمة [٣]، فدل الفعل المضارع هنا على المضاعفة والزيادة، كما يدلّ الفعل الماضي على عدم المضاعفة،

وعلى كلا الحالين تتحقق تقييد الفعل في السياق، بـ"المضاعفة، وعدمها"، والله أعلم.

على أنّ الفعل الماضي ليس دائمًا مقرونًا بالأعمال غير الصالحة، بل قد يقترن بالأعمال الصالحة العظيمة؛ لاختلاف دلالة التوظيف، الذي يقتضيه السياق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[٤].

ذُكر أنّ من دلالات الفعل الماضي البتّ والتوكيد؛ كَونه مَقطوعًا بِه[٥]، وهنا يمكن أن تكون كذلك؛ ففي الآية الكريمة ذكْرٌ لثلاثة أعمال: تلاوة كتاب الله، والصلاة، والزكاة، ومعلوم أنّ العملين الأخيرين من أركان الدين، فهما فرضان مغلظان، لذا جاء التعبير عنهما بوساطة فعل الماضي، بمعنى أنّ السياق القرآني هنا يؤكد على الصلاة والزكاة أكثر ممّا يؤكد على تلاوة كتاب الله، الأمر يحقق تقييد الفعل في السياق، بـ "التوكيد، وعدمه"، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[٦].

---

(١) روح المعاني (٨٣/١١).

(٢) [سبأ ١٣].

(٣) التفسير الكبير (٢٨/٢٥).

(٤) [فاطر ٢٩].

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٥٧٤/٢٤) . ومن هذه الدلالة قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ سورة النمل ٨٧.

(٦) [الإسراء ١٨-١٩].

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

جاء التعبير عن "طلب العاجلة" بوساطة الفعل المضارع "يريد"، في حين جاء التعبير عن "طلب الآخرة" بوساطة الفعل الماضي "أراد"، وهنا تبدو المغايرة في دلالتي التركيبين الكريمين.

ذكرنا أنّ من دلالات الفعل المضارع التكرار والمداومة، وهنا يمكن أن يدلّ النصّ الكريم على حال من يريد العاجلة، الذي لا ينفكّ عن طلبها، وبهذا يكون قد استحق الجزاء المترتب على طلبه المتكرر.

وتجدر الإشارة إلى حال كثير من المؤمنين الذين قد طلبوا العاجلة، ولكن طلبًا عارضًا، أو طارئًا، أو متقطعًا، لا يداوم عليه صاحبه، الأمر الذي يخرجهم من حكم هذا النصّ الكريم، بمعنى أنّ من رحمته تعالى جاء التعبير في هذا النصّ الكريم بصيغة الزمن المضارع، فلو جاء في صيغة الزمن الماضي –كما في طلب الآخرة – لشمل هذا الحكم كثيرًا من المؤمنين، الذين طلبوا العاجلة بوجه ما.

وفي مقابل ذلك يكون طلب الآخرة في سياق الفعل الماضي، الذي يمكن أن يدلّ على عدم التكرار والمداومة – مقارنة بدلالة الفعل المضارع– وهنا تبدو رحمة ربّنا، المتمثّلة بالجزاء العظيم لمن طلب الآخرة وإن لم يداوم على طلبها، ولكن يشترط في طلبه السعي الذي يقتضيه من جهة، والإيمان من جهة أخرى.

ولإدراك رحمته تعالى في دلالة ذلك أنّ النصّ الكريم لو جاء بصيغة المضارعة –كما في طلب العاجلة– لخرج من هذا الحكم كثير من المؤمنين، الذين لم يداوموا على طلب العاجلة، واقتصر على ثلة قليلة جدًا.

المطلب الثالث: بناء الفعل للمجهول

قد يتحقق تقييد الفعل في السياق القرآني بوساطة توظيف بناء الفعل للمجهول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[1].

ذكر البعض أنّ بناء الفعل للمجهول هنا ليس الغرض منه إسناده " إلى فاعل مخصوص، بل إلى أيّ فاعل كان"[2]، بيد أنّ البحث لا يكتفي بهذا التوجيه؛ فالآية الكريمة فيها استنكار واضح لتشبّه بعض المؤمنين بقوم

(١) سورة البقرة ١٠٨.

(٢) شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهريّ، دار إحياء الكتب العربيّة، ج ١، ص٢٨٦.

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

موسى في تعنتهم، وطلبهم للبراهين والخوارق وما إلى ذلك، ولكن مع ذلك كله ينزّه الله تعالى المؤمنين عن اليهود؛ إذ "كان من الممكن أن يقول أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل اليهود موسى، ولكنّ الله لم يرد أن يشبّه اليهود بالمؤمنين ... وهذا تكريم من الله للمؤمنين بأن ينزههم أن يتشبّهوا باليهود" (١).

لا شكّ أنّ بناء الفعل حقق هذه الدلالة، فمن الملحوظ ذكر سؤال المؤمنين لرسول الله "ﷺ"، ببنائه للمعلوم، ومن الملحوظ أيضًا بناء فعل سؤال اليهود لسيّدنا موسى للمجهول، بمعنى ذكر الفاعل، الذي يعود على المؤمنين، بالمرة الأولى، وتغييبه عن السياق، عندما عاد على اليهود، بالمرة الأخرى.

وخلاصة القول إنّ إثبات ضمير الفاعل في الفعل "تسألوا" يعد تشريفًا ومديحًا للمؤمنين؛ لحضورهم في سياق أشير فيه لرسولنا الكريم (ﷺ)، كما أنّ تغييب ضمير الفاعل في الفعل (سئل) يعدّ ذمًا لليهود، وبهذا تتحقق تقييد الفعل بـ (المدح، والذم).

وقد يكون التغييب لعنصر ما من السياق للتنزيه؛ لأنّ المذكور عندئذ يكون أقل رتبة، ومن ذلك قوله تعالى على لسان سيّدنا موسى للعبد الصالح: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾(٢).

فبناء فعل التعليم للمعلوم، عندما يكون فاعله العبد الصالح، وبناؤه للمجهول، عندما يكون فاعله ربّنا تعالى، وفي ذلك تنزيه واضح لربّنا جلّ في علاه، وهو من باب تنزيه المعلم ورفعته عن المتعلم. وبهذا تتحقق تقييد الفعل بـ "التنزيه، وعدمه"، والله أعلم.

ومن التنزيه قوله تعالى أيضًا: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾(٣).

في هذا السياق جاء التعبير عن تكذيب هذه الأقوام لأنبيائهم بوساطة الفعل المبني للمعلوم "يكذّبوك"، وهو قوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين. والملحوظ في هذا السياق حضور أسماء أنبيائهم، وهو ما يناسب الجوّ العام للسياق؛ لأنّه بمثابة الثناء على المخاطب، وتصبيره على ما كُذّب به –

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.(١/٥٢٠).

(٢) سورة الكهف ٦٦.

(٣) سورة الحج ٤٢–٤٤.

Doi:10.37940/RJIS.2024.s1.1.11 العدد خاص بالمؤتمر الدوري الدولي الثالث للعلوم الإنسانية

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

والله أعلم – ولكن عندما يصل الخطاب إلى قوم موسى فالمقام مختلف قليلاً؛ لانّ القران الكريم عادة ما يعبّر عن فرعون ومن معه بأسمائهم، وليس باسم نبيّهم –كما هو الحال مع الأقوام الأخرى – ولعدم مناسبة حضور ذكر فرعون ومن معه في مثل هذا السياق بناء فعل التكذيب للمجهول (كُذّب)، ليذكر سيّدنا موسى إلى جانب طائفة من الأنبياء الكرام. الأمر الذي يحقق تقييد الفعل في السياق، بـ (المدح، والذمّ)، مدح من ذُكر، وذمّ من حذف ذكره من السياق، والله أعلم.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[1]. وهنا يبدو الاختلاف في صيغتي (كذّبوك)، و(كذّب) للدلالة نفسها. وقد يسأل سائل: لماذا لم يجر أمر التغييب على من كذّب رسولنا (ﷺ) فيكون السياق: (وإن تُكَذّب) أو (فإن كُذِّبت) في السياقين أعلاه؟. ومن ثمّ تنسحب دلالة الذمّ عليهم أيضًا.

وللجواب نقول ومن الله التوفيق: إنّ السياق في ذكر هؤلاء المشركين، وليس في غيرهم، لذا ينبغي وجود ما يشير إليهم؛ لئلا ينصرف القصد إلى سواهم، ومع هذا كلّه فقد جاء ما يشير إليهم بصيغة الضمير "الواو" فحسب، فلم يسمهم السياق بأسمائهم؛ للدلالة نفسها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

يلحظ في التكاليف –عمومًا– يكون بناء الفعل (كُتِب) للمجهول، " السبب في ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يكلف كافرًا بأي تكليفات إيمانية؛ فسبحانه لم يكلف بأي حكم من أحكام الإيمان إلا من آمن به وأسلم له"[3]، بمعنى أنّ هذه التكاليف مخصوصة بالمؤمنين فحسب، فالإيمان هو مدخل الفريضة. وما دام الإنسان قد آمن فقد أصبح طرفًا فيما فرضه الحق سبحانه وتعالى عليه؛ لأنّه لو لم يؤمن لما فُرضت عليه هذه التكاليف، إذن هو الذي ألزمَ نفسه وسلّمها – بإيمانه– لحكم الله، الأمر الذي جعله طرفًا في كل فريضة كتبت عليه[4].

---

(١) سورة آل عمران ١٨٤.

(٢) سورة البقرة ١٨٣.

(٣) تفسير الشعراوي ٥٤١٩/٩.

(٤) ينظر تفسير الشعراوي ٥٤١٩/٩–٥٤٢٠، و ٧٢٧٦/٢٠.

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

من هنا يتبيّن أنّ بناء الفعل للمجهول أقرب ما تكون دلالته – في مثل هذه المواطن– تذكير المؤمنين بعهدهم الذي عاهدوا الله به ساعة إيمانهم، وقد يُقرن هذا التذكير بشكل من التهديد والوعيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۞ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[١]، فمن تولى الشيطان فقد خالف عهده لله تعالى، ذلك العهد الذي كان طرفًا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾[٢].

ربّما دلالة الفعل "أُحلّ" تؤيّد ما ذهبنا إليه، إذا ما تأمّلنا أنّ للمؤمن نصيبًا فيه؛ فهو الذي اختار زوجه، ورضي بها شريكًا يسكن إليها، وتسكن إليه، وربّما دلّ ذلك على تحذيره بعدم ابتغائه وراء ما أحلّ الله له سبيلاً فيكون من العادين، والله أعلم.

ولكن ثمّة من يرى أنّه " بني الفعل للمجهول فقال: (أحل) أي ثبت الإحلال فلا ينسخ أبداً" [٣]. الأمر الذي لا نؤيده، ولا نذهب معه؛ لقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[٤]، فمن الواضح نسخ الإحلال الذي دلّ عليه الفعل المبني للمجهول، والمغايرة بين بناء فعلي الإحلال والتحريم يمكن أن تدلان على إشراك العبد وعدمه؛ ففي الإحلال يكون قد أشرك في الفعل بإقراره هذه الشريعة والموافقة عليها، على خلاف فعل التحريم، الذي جاء بإرادة الله حصرًا، وليس للعبد نصيب فيه، لذا عُبّر عنه بصيغة المعلوم، والله أعلم.

على أن لا تنسحب هذه الدلالة على مظاهر التخفيف من العبادات، كما في قوله (فابتغوا ما كتب الله لكم) فإذا كان للعبد طرف في هذه الفرائض فهو على سبيل التسليم لحكم الله، وليس لاختيار نوع العبادات

---

(١) سورة الحج ٣–٤.

(٢) سورة البقرة بداية آية ١٨٧.

(٣) نظم الدرر ٦/٢٤.

(٤) سورة المائدة ١٦٠

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

وحجمها، الأمر الذي يجعل أمر التخفيف لعبادة الصيام أمرًا مخصوصًا به تعالى، وهو من مظاهر رحمته، التي ليس للإنسان أن يكون طرفًا فيها.

ومن مظاهر هذه الرحمة قوله تعالى أيضًا: ﴿... سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ...﴾[١] بمعنى أنّ هذا الفعل بمحض إرادته، وليس للإنسان – ولا لغيره– شأن فيه، الأمر الذي استدعى أن يكون بناء الفعل للمعلوم –في النصّين– والتصريح بفاعله، والله أعلم.

ويمكن أن تشمل مظاهر رحمته غيرَ المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾[٢].

وبهذا تتضح دلالات بناء هذا الفعل للمعلوم في مختلف آي القران الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]. بمعنى أنّ الأمر لله وحده في ما كتب لنا، وبهذا فإنّ بناء الفعل (كتب) للمعلوم والتصريح بفاعله يمكن أن يدلّ دلالة واضحة على التسليم الكامل لأمره تعالى.

وقد يدلّ بناء هذا الفعل للمعلوم، والتصريح بفاعله على مظاهر قدرته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٤].

ومن ذلك كلّه يتبيّن –لنا– أنّ بناء الفعل "كتب" للمعلوم والتصريح بفاعله جاء على الأصل؛ لبيان مختلف الدلالات، التي تكون من خصوصيات الذات الإلهية، بينما يمكن أن يدلّ بناؤه للمجهول على أنّ المؤمن طرف في عهده مع الله، العهد الذي كان الأساس في ما كتبه الله علينا من فرائض وتكاليف، بمعنى أنّه في بناء هذا الفعل للمجهول دلالة على أنّ للمؤمن نصيبًا من الفعل، وليس له ذلك في حالة بناء الفعل للمعلوم، والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٤.

(٢) سورة الحشر ٣.

(٣) سورة التوبة ٥١.

(٤) سورة المجادلة ٢١.

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[١]. فسّر بعض العلماء سبب بناء فعل الخلق للمجهول " بِأَنَّ الْخَالِقَ مَعْرُوفٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ اسْمِهِ" [٢]، غير أنّنا لا نرى دلالة هذا البناء تنتهي عند هذا الحدّ؛ فلو كانت كذلك لخُوطب المؤمنون بهذه الصيغة في عموم آي القران الكريم، غير أنّ هذه الصيغة – أي بناء فعل الخلق للمجهول – جاءت في ثلاثة مواطن فحسب، الأمر الذي يجعلنا لا نكتفي بالتفسير السابق، ومن هنا نرى أنّه من الممكن أن تدلّ هذه الصيغة على توجيه الإنسان لتدبّر عظمة خلقه، وليس عظمة خالقه، بمعنى أنّه تعالى يدعو الإنسان للتفكّر في خلقه، وربّما بمعزل عن الخالق، وهي دعوة تحكيم العقل في التفّكر في مراحل عملية خلق الإنسان، وإذا ما أقرّ العقل السليم بهذه العظمة فسيُحمل بالضرورة للإقرار بالدلالة الأخرى منه، وهي عظمة الخالق – سبحانه– المقرونة بتصريح السياق القرآني، وذلك بقوله (إنّه على رجعه لقادر) وهنا الإشارة الصريحة للخالق من جهة، وتبيان عظمة قدرته من جهة أخرى.

وعلى وفق ما قدّمنا يكون هذا الخطاب – وما شاكله – موجّه بالدرجة الأساس لغير المؤمنين، مع إمكانيّة مخاطبة المؤمنين فيه، الأمر الذي يجعلنا نستبعد التفسير السابق، والله أعلم.

ويمكن أنّ نتأمّل هذه الدلالات أيضًا في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[٣]. إذ توجيه المتدبّر للقرآن الكريم لحال الإنسان العجول، ثم تأتي الإشارة سريعًا لعظمة الخالق في ختام الآية الكريمة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[٤].

---

(١) سورة الطارق ٥–٨.

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ج٢٠،ص٢٦٥.

(٣) سورة الأنبياء ٣٧.

(٤) سورة المعارج ١٩–٢٢.

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

وهنا الموطن الثالث من مواطن ورود هذه الصيغة في القرآن الكريم، وقد لا تبتعد دلالاتها عمّا تقدّم؛ وتحديدًا في توجيه الإنسان إلى تدبّر حاله الذي يصرّح به النصّ الكريم، وإذا ما أدرك هذه الدلالة فسيحمله عقله على تدبّر دلالة أخرى، وهي القدرة العظيمة التي أوجدت هذا الإنسان، أي عظمة الخالق سبحانه، والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وسلام على المرسلين أجمعين ، وعلى رسولنا وحبيبنا مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم) ، وبعد ...

هذه خاتمة بحث بحثته، وشتات علم جمعتُه، وأرجو أن أكون وُفقت في تسليط الضوء على تقييد الفعل في القرآن الكريم، لتحقيق معانٍ دلالية مقصودة بتوظيف دلالاتها النحوية.

وقد توصل هذا البحث إلى عدّة نتائج؛ أهمها:

١. إن تقييد الفعل بالزمن لا يدلُّ على نفيه عن غير ذلك الزمن.
٢. يرتبط فهم القيد بالسياق الذي ورد فيه، والمعنى الذي جاء من أجله.
٣. قد يرد القيد حيث لا غنى عنه في الكلام ويختلف المعنى كلية من دونه، وحينئذ يكون كالعمدة أو كالركن في الكلام.
٤. أثر السياق والقرائن في تقييد دلالة الفعل الزمنية وعدم الركون إلى الصيغة وحدها في استقاء الدلالة الزمنية للفعل.
٥. قد يرد القيد مقيدا حين يراد تولد القيود في أنفسها لمزيد من الأهمية والاعتناء.
٦. إن النظر في القيد ينبغي أن يتبع بالنظر في مدلوله؛ لأن مدلول الكلمة يساعد في الوقوف على سر التقييد بها.
٧. إن التقييد بـ (إن) و(إذا) قد يأتي عكس ما عرف عنهما من أن الأولى للشك والثانية للجزم؛ فربما تجيء إحداهما في مقام يتطلب الثانية لنكتة بلاغية. ملحوظة: تقييد الفعل بأدوات الشرط ليس على اطلاقه في تحقيق حصوله، فما قيد بـ(إذا) متحقق حصوله، أما المقيد بـ(إنْ) فالغالب لا يشترط ذلك.

هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم.

_ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

_ أمالي ابن الشجري: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، ١٤١٣ هـ – ١٩٩١م.

_ البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق عادل عبد الموجود ، مُحَمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢ هـ .

_ تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

_ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

_ تفسير الشعراوي، مُحَمَّد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

_ رسالتان في اللغة: ابو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني (ت ٣٨٨ هـ) ، تحقيق : د. ابراهيم السامرائي، مطبعة دار الفكر، ط١ ،١٩٨٤ م.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي ، دار إحياء التراث ، بيروت .

_ زمن الفعل في اللغة العربية: عبد الجبار توامة، د/ط ، الساحة المركزية، بن عنكوك_ الجزائر، ١٩٩٤.

_ الزمن النحوي والزمن الصرفي: الباحثة سناء الريس، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، الإصدار الرابع، ع (٣٩)، القاهرة، ٢٠١١م.

_ شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهريّ، دار إحياء الكتب العربيّة.

_ شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت – لبنان ،(د.ت).

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Special Vol;1- issue;1/ (2024)

_ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

_ الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

_ لسان العرب ، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١.

_ اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة.

_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.